قسم العلوم الإنسانية جامعة محمد العربي بن مهيدي أم البواقي

السنة الأولى ماستر تاريخ مقيـــاس : التاريخ السياسي للأندلس

المحاضرة الرابعة : التطور السياسي للأندلس في عهد الإمارة الأموية (138هـ - 316هـ): جدلية التأسيس، الأزمة، وإعادة البناء.

مقدمة:

المحور الأول: مرحلة التأسيس وتفكيك العصبيات (هندسة الدولة في عهد عبد الرحمن الداخل 138-172هـ)

يُعد دخول عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس وانتصاره في معركة المصارة (138هـ/756م) لحظة قطيعة إبستمولوجية وسياسية في تاريخ الغرب الإسلامي. لم يكن التحدي الذي واجهه هو الوصول إلى السلطة، بل البقاء فيها داخل جغرافيا ممزقة بالولاءات المتناقضة. وقد اعتمد الداخل استراتيجية ثلاثية الأبعاد لبناء كيان سياسي مستقل (الواقعية في الشرعية، تصفية صناع الملوك، واحتكار القوة العسكرية.)

1.جدلية الشرعية والواقعية: (الاستقلال السياسي دون القطيعة الأيديولوجية)

كان عبد الرحمن الداخل يمتلك الشرعية التاريخية وشرعية الدم لإعلان نفسه خليفة للمسلمين، كونه الوريث الشرعي للبيت الأموي الذي أُبيد في المشرق. إلا أن العقل السياسي غلب العاطفة الأيديولوجية.

- **البراغماتية السياسية :**أدرك الداخل أن إعلان الخلافة سيستفز العباسيين (وخاصة أبو جعفر المنصور) لشن حرب استئصال ضده في الأندلس، كما

سيستفز القبائل اليمانية والشامية في الأندلس التي قد لا ترغب في الانفصال الروحي التام عن المشرق.

- **الحل الدبلوماسي :**اكتفى بلقب **الأمير** (أو ابن الخلائف)، وقام بخطوة سيادية متدرجة؛ حيث أبقى الدعاء للخليفة العباسي المنصور على منابر الأندلس لفترة قصيرة تجنباً للصدام، ثم قطعه نهائياً عندما استتب له الأمر، دون أن يدعو لنفسه بالخلافة.
- **النص المصدر :**يوثق ابن عذاري المراكشي هذه الخطوة البراغماتية بدقة فائقة، مشيراً إلى أن الداخل:

أمر بقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور من منابر الأندلس، وكان يدعو له في صدر إمارته تطييباً لقلوب اليمانية... فلما استقرت قدمه، واستتب أمره، أمر بقطع الدعاء له، واكتفى بالدعاء لنفسه بالإمارة (1).

2.تصفية صُنّاع الملوك(Deconstructing the Kingmakers)

اعتمد الداخل في وصوله للسلطة على تحالف مرحلي مع اليمانية (بقيادة أبي الصباح اليحصبي) والموالي الأمويين، نكايةً في الوالي السابق يوسف الفهري (القيسي) وحليفه الصميل بن حاتم.

- **خطر الأجناد :**كان زعماء القبائل الشامية واليمنية ينظرون للداخل على أنه واجهة سياسية يمكنهم عزلها متى شاؤوا (كما فعلوا مع ولاة العصر السابق).
- **الضربة الاستباقية :**أدرك الداخل قاعدة أن *من يضعك على العرش قادر على إزاحتك* .لذا، بمجرد استقرار حكمه، بدأ في تصفية الزعامات القبلية التي ساندته، وعلى رأسهم أبو الصباح اليحصبي، لتجريد القبائل من قياداتها التاريخية.
- **النص المصدر :**ينقل صاحب *أخبار مجموعة* رواية كاشفة لحجم التوتر بين سلطة الدولة الناشئة وغطرسة القبيلة، حيث جمع الداخل قادة الجند، وأظهر لهم

رغبة أبي الصباح في الانقلاب عليه، ثم أمر بقتله فوراً. يعلق المؤلف على هذا الحدث المفصلي:

وكان قتل أبي الصباح أول ما أظهر فيه عبد الرحمن سطوته، واستبداده برأيه، فذلّت له اليمانية، وانكسرت شوكتهم، وعلموا أنه لا يقبل الضيم (2).

.3احتكار العنف المادي: (من جيش القبائل إلى الجيش النظامي)

لا يمكن بناء دولة مركزية بجيش ولاؤه لشيوخ القبائل (العصبية). لذا، أحدث عبد الرحمن الداخل ثورة عسكرية غيرت البنية الديموغرافية للسلطة في الأندلس.

- **جيش الموالي والمرتزقة :(Standing Army)** قام الداخل باستبعاد العرب (البلديين والشاميين) تدريجياً من المراكز الحساسة في الجيش، واستعاض عنهم بعنصرين لا يملكان جذوراً قبلية في الأندلس، وولاؤهما محصور في شخص الأمير الذي يدفع لهما الرواتب:

1. **البربر :**جلبهم من العدوة (المغرب) كمرتزقة محترفين.
2. **الصقالبة (المماليك) :**وهم العبيد الأوروبيون (السلاف والفرنجة) الذين اشتراهم صغاراً ودربهم ليكونوا حرسه الشخصي (الحرس الأموي).

- **التحليل التاريخي :**يرى المستشرق ليفي بروفنسال أن هذه الخطوة هي التي ضمنت بقاء الإمارة الأموية لأكثر من قرنين. يقول في تحليله:

لقد أدرك عبد الرحمن الأول أن الجند الشامي لا يمكن الوثوق به لبناء سلطة مطلقة، فشرع في تكوين جيش محترف من المرتزقة البربر والعبيد المشتراة... وقد بلغ تعداد هذا الجيش النظامي في أواخر عهده نحو أربعين ألف مقاتل، مما جعله أداة طيعة ومستقلة تماماً عن الصراعات القبلية العربية (3).

- **النتيجة :**هذه السياسة العسكرية أدت إلى انتقال الأندلس من مفهوم تحالف القبائل إلى مفهوم الدولة المنظمة.(State Monopoly on Violence)

الهوامش والتوثيق(Chicago Style - Notes)

(1)أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ج 2 (بيروت: دار الثقافة، 1983)، 50.

(2)مجهول المؤلف، *أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها*، تحقيق إبراهيم الإبياري (القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989)، 85.

(3)إفاريست ليفي بروفنسال، *تاريخ إسبانيا الإسلامية: من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي محمد سالم، ط 3، ج 1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 312-313.

(4)محمد عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر*، العصر الأول - القسم الثاني (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997)، 185.

المحور الثاني: المأسسة وأزمة المركزية (من توحيد المرجعية الفقهية إلى الصدام الدامي في وقعة الربض)

يعالج هذا المحور حقبة الأميرين؛ **هشام بن عبد الرحمن (الرضا).** **(172-180هـ)** وابنه **الحكم بن هشام (الربضي)** (180-206هـ). تُعد هذه المرحلة مختبراً حقيقياً لدراسة علم الاجتماع السياسي في الأندلس؛ حيث انتقلت الدولة من محاربة التمرد القبلي إلى مواجهة المعارضة الحضرية والمؤسساتية المتمثلة في طبقة الفقهاء وعامة العاصمة قرطبة.

.1الأحادية المذهبية (المأسسة الأيديولوجية في عهد هشام الرضا):

أدرك الأمير هشام أن الوحدة العسكرية والسياسية التي حققها والده (الداخل) تبقى هشة إن لم تُدعم بـ وحدة مرجعية وقانونية. فاختار بحنكة سياسية إرساء **المذهب المالكي** كمذهب رسمي وحيد للدولة.

- **الخلفية السياسية لاختيار المذهب :**لم يكن انتشار المذهب المالكي في الأندلس مجرد صدفة علمية بل قراراً سياسياً .(State-sponsored) فقد رأى الأمويون في مذهب الإمام مالك (في المدينة) نقيضاً للمذهب الحنفي الذي تبناه العباسيون (في بغداد). كما أن الإمام مالكاً كان يُظهر ميلاً للعلويين والأمويين وناقماً على العباسيين.
- **النص المصدر :**يذكر المقري التلمساني في *نفح الطيب* التخادم السياسي بين السلطة الأموية والإمام مالك، قائلاً:

وكان الإمام مالك يسأل عن سيرة هشام... فيثني عليه، ويشير إلى أنه البقية من الخلفاء... فبلغ ذلك هشاماً، فألزم الناس بالتفقه في مذهبه، وترك ما سواه (1).

- **النتيجة السوسيوسياسية :**خلق هذا القرار طبقة جديدة وقوية جداً هي **طبقة الفقهاء** (مثل يحيى بن يحيى الليثي وعيسى بن دينار)، الذين أصبحوا يمتلكون سلطة روحية وقضائية هائلة على الجماهير، وهو ما سيمهد للصدام الحتمي مع السلطة السياسية في العهد الموالي.

.2المركزية الاستبدادية ونشأة المعارضة الحضرية (عهد الحكم الأول):

بتولي الحكم بن هشام مقاليد الإمارة، تغيّر وجه الدولة. كان الحكم أميراً واقعياً، دنيوياً، وصاحب نزعة مركزية عسكرية صارمة، مما أدى إلى اصطدام مباشر مع الفقهاء الذين تعودوا على التدخل في سياسة الدولة في عهد والده هشام.

- **أسباب الصدام البنيوية:**

1. **المسألة المالية (المغارم) :**لبناء جيش ضخم، فرض الحكم ضرائب غير شرعية (المكوس)، مما اعتبره الفقهاء خروجاً عن الشريعة.

2. **الجيش النظامي الأجنبي (الخُرس) :**استجلب الحكم مرتزقة من الصقالبة والنصارى لا يتحدثون العربية (لذلك سُموا بالخُرس)، وجعلهم حرسه الخاص وشرطته، وقد تعمدوا الإساءة لسكان قرطبة.

- **النص المصدر :**يصف ابن عذاري المراكشي حالة الاحتقان السياسي الديني ضد الحكم، مبرزاً دور الفقهاء في التحريض:

وتعصب عليه جماعة من فقهاء قرطبة... وأنكروا سيرته، وسير من أسند إليه أمره، مع ما أحدثه من المغارم... فكثر الطعن عليه، وأشعلوا العامة ضده (2).

.3وقعة الربض (202هـ / 818م): (المعركة الفاصلة لفرض هيبة الدولة)

هذه الحادثة لا تُدرس في الماستر كـ مجرد تمرد شعبي، بل كـ **أزمة بنيوية** حُسمت لصالح احتكار الدولة للعنف.

- **الحدث :**شرارة صغيرة (شجار بين جندي من الحرس وحدّاد في ربض شقندة الجنوبي) أدت إلى زحف عشرات الآلاف من سكان الربض (الضاحية الجنوبية لقرطبة) نحو قصر الإمارة، مدفوعين بفتاوى تحريضية من كبار الفقهاء (مثل طالوت ويحيى الليثي).
- **الحسم العسكري :**أظهر الحكم برود تكتيكياً مرعباً؛ فبينما كان القصر يُحاصر، أمر بإضرام النار في منازل المتمردين بالربض من الخلف. فلما رأى الثوار النيران في بيوتهم، ولوا هاربين، فحصدتهم سيوف جيش الأمير.
- **العقاب الاستراتيجي (التطهير الديموغرافي) :**لم يكتفِ الحكم بالقتل (صُلب 300 من زعمائهم منكسين)، بل اتخذ قراراً جيوسياسياً بتدمير الربض تماماً، ونفي الناجين بالكامل إلى خارج الأندلس.
- **النص المصدر :**يوثق المستشرق ليفي بروفنسال هذه الهجرة القسرية الكبرى وتأثيرها الإقليمي:

صدر الأمر بهدم الربض وتسويته بالأرض... وأُجبر عشرات الآلاف على الهجرة. انقسم المنفيون إلى قسمين: قسم عبر إلى المغرب حيث استقبلهم إدريس الثاني وبنوا (عدوة الأندلسيين) في فاس، وقسم اتجه شرقاً فاستولوا على الإسكندرية لسنوات، ثم زحفوا بقيادة أبو حفص البلوطي وافتتحوا جزيرة (كريت) وأسسوا فيها إمارة مستقلة (3).

4.النتيجة السياسية لوقعة الربض (تحليل للطلبة):

يجب أن يستنتج طالب الماستر أن وقعة الربض كانت **انتصاراً لمؤسسة الدولة على حساب المجتمع**.

- تم تجريد الفقهاء من أي فيتو سياسي (Political Veto) واقتصر دورهم بعدها على الفتوى القضائية.
- تخلصت العاصمة قرطبة من المعارضة الديموغرافية الشرسة.
- سُمي الحكم بـ الربضي، ورغم قسوته، فقد سلم لابنه (عبد الرحمن الأوسط) أندلساً خاضعة تماماً للسلطة المركزية، لتبدأ أزهى عصور الإمارة هدوءاً وثراءً.

الهوامش والتوثيق(Chicago Style - Notes)

(1)أحمد بن محمد المقري التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق إحسان عباس، ج 1 (بيروت: دار صادر، 1968)، 334.

(2)أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ج 2 (بيروت: دار الثقافة، 1983)، 72.

(3)إفاريست ليفي بروفنسال، *تاريخ إسبانيا الإسلامية: من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي محمد سالم، ط 3، ج 1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 365-367

(4)محمد عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر*، العصر الأول - القسم الثاني (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997)، 248.

المحور الثالث: أزمة الإمارة الهيكلية وتمرد الهوامش (ثورات المولدين، المستعربين، والعصبيات)

يُعنى هذا المحور بتحليل القوى الطاردة المركزية (Centrifugal forces) التي كادت أن تعصف بكيان الإمارة الأموية. لم تعد المعارضة تقتصر على تمردات عسكرية محدودة، بل تحولت إلى **حركات انفصالية ذات أبعاد سوسيولوجية وهوياتية**، يمكن تصنيفها في ثلاث مسارات رئيسية:

.1أزمة الاندماج الاجتماعي: (ثورات المولدين والبحث عن المساواة)

المولدون (Muwalladun)هم الإسبان الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام. شكل هؤلاء الأغلبية الديموغرافية، لكنهم عانوا من إقصاء سياسي واقتصادي من قبل الأرستقراطية العربية التي احتكرت المناصب الكبرى والإقطاعات الخصبة.

- **التحليل السوسيولوجي :**لم تكن ثورات المولدين (في طليطلة، وماردة، وسرقسطة) ثورات ضد الإسلام، بل ضد التعريب السياسي والعنصرية الطبقية. طالبوا بتفعيل مبدأ المساواة الإسلامية وإسقاط الضرائب المجحفة التي كانت تُفرض عليهم أحياناً كما تُفرض على أهل الذمة.

- **النص المصدر :**يذكر ابن حيان القرطبي في *المقتبس* حجم الاحتقان في طليطلة (معقل المولدين)، مشيراً إلى أنهم كانوا يستغلون أي ضعف في قرطبة للتمرد، قائلاً:

وكان أهل طليطلة، وهم من المولدين والعجم، أشد أهل الأندلس طغياناً، وأسرعهم إلى الفتنة... لا يزالون يخلعون الطاعة، ويمتنعون من أداء الخراج، استخفافاً بالعرب (1).

.2ظاهرة عمر بن حفصون: (من الاحتجاج الاجتماعي إلى الخيانة الوطنية)

تُعد حركة عمر بن حفصون (267-316هـ) أخطر تهديد وجودي واجهته الإمارة. انطلق ابن حفصون من حصن **ببشتر** (Bobastro)المنيع في جبال رندة بجنوب الأندلس.

- **المرحلة الأولى (الزعيم الشعبي) :**بدأ كقائد للمولدين والمهمشين ضد ظلم العمال العرب. نجح في بناء شبه دولة موازية، تجبي الضرائب وتعين القضاة، وكاد أن يسقط قرطبة نفسها في معركة بولة (276هـ).
- **المرحلة الثانية (الردة والتحالف الخارجي) :**ارتكب ابن حفصون خطأً استراتيجياً قاتلاً عندما ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية (وتسمى باسم صموئيل)، باحثاً عن تحالف مع ألفونسو الثالث ملك ليون في الشمال، ومع الفاطميين في إفريقية.
- **سقوط الشرعية :**هذا التحول الديني نزع عنه غطاءه الاجتماعي كـ مصلح مسلم، فانفض عنه أنصاره من المسلمين المولدين.
- **النص المصدر :**يوثق ابن عذاري لحظة الردة التي دمرت شرعيته سياسياً:

وفي سنة ست وثمانين ومائتين، أظهر الخبيث عمر بن حفصون الكفر الذي كان يضمره... وبنى الكنائس في ببشتر... ففارقه كثير من أصحابه المسلمين، ومقتوه، وقالوا: إنما كنا نقاتل معه دفعاً لظلم العمال، فأما الآن وقد كفر، فلا طاعة له (2).

.3حركة الشهداء المستعربين: (أزمة الهوية والاستيعاب الثقافي)

شهدت العاصمة قرطبة حركة غريبة عُرفت بـ شهداء قرطبة (The Martyrs of Córdoba)بقيادة القس **إيولوخيو** (Eulogius)والكاتب **ألفارو** .(Alvarus)

- **التحليل الثقافي :(Cultural Assimilation)** لم تنشأ هذه الحركة بسبب اضطهاد ديني من الدولة الأموية، بل بسبب **نجاح الاندماج الثقافي** .فقد لاحظ رجال الدين المسيحيون أن شبابهم (المستعربين (Mozarabs/شغفوا باللغة العربية، والأدب، واللباس الإسلامي، ونسوا اللاتينية.
- **رد الفعل الراديكالي :**خوفاً من الذوبان الثقافي، قام هؤلاء القساوسة بتشجيع المسيحيين على الذهاب للأسواق أو للقاضي وشتم النبي محمد (ﷺ) علانية، بحثاً عن إعدام طوعي (انتحار ديني) لإيقاظ العصبية المسيحية.
- **الرؤية الأكاديمية الحديثة :**يحلل محمد عبد الله عنان هذه الظاهرة نفسياً واجتماعياً بالقول:

لم تكن حركة الشهداء حركة تحرير وطني، بل كانت صرخة يأس من أقلية دينية متزمتة راعها ذوبان المسيحيين في الثقافة العربية الإسلامية... أرادوا بخلق شهداء جدد أن يضعوا حاجزاً من الدم بين المجتمعين (3).

.4الإقطاع السياسي (تمرد العصبيات العربية والبربرية):

بينما كان المولدون والمسيحيون يثورون، استغلت البيوتات العربية والبربرية الكبرى ضعف الأمير **عبد الله بن محمد** (275-300هـ) لتستقل بولاياتها وتؤسس ما يشبه ملوك الطوائف المبكرة.

- **أمثلة صارخة :**استقل **بنو حجاج** (من العرب اليمانية) بإشبيلية وتصرفوا كملوك، بينما أسس **بنو قسي** (- Musa ibn Musa al-Qasiمن المولدين) إمارة شبه

مستقلة في سرقسطة (الثغر الأعلى) لدرجة أن موسى بن قسي سمى نفسه ثالث ملوك إسبانيا (بعد أمير قرطبة وملك أستورياس).

- **النتيجة الكارثية :**في أواخر عهد الأمير عبد الله، لم تكن سلطة الدولة الأموية تتجاوز أسوار مدينة قرطبة ومحيطها المباشر، وانهارت جباية الضرائب تماماً (4).

الهوامش والتوثيق(Chicago Style - Notes)

(1)أبو مروان حيان بن خلف (ابن حيان القرطبي(، *المقتبس من أبناء أهل الأندلس*، تحقيق محمود علي مكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، 145.

(2)أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ج 2 (بيروت: دار الثقافة، 1983)، 122.

(3)محمد عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر*، العصر الأول - القسم الثاني (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997)، 285-286.

(4)إفاريست ليفي بروفنسال، *تاريخ إسبانيا الإسلامية: من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي محمد سالم، ط 3، ج 1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 410-415.

المحور الرابع: إعادة البناء والتمهيد للخلافة (استراتيجية الاسترداد الداخلي في عهد عبد الرحمن الناصر 300-316هـ)

يعالج هذا المحور اللحظة التاريخية الفارقة التي تولى فيها الشاب **عبد الرحمن بن محمد (الناصر)** مقاليد الإمارة سنة 300هـ/912م. لم تكن الإمارة التي ورثها سوى

دولة اسمية لا تتجاوز سلطتها الفعلية أسوار العاصمة قرطبة وبعض أحوازها، بينما تقاسمت العصبيات العربية والبربرية وزعماء المولدين (وعلى رأسهم أبناء عمر بن حفصون) بقية الأندلس.

1.إرث التفكك وأزمة شرعية المركز(The Inheritance of Ruin)

عندما بويع الناصر، كانت ميزانية الدولة شبه منعدمة بسبب توقف الولايات عن دفع الخراج، وكانت الجيوش النظامية منهكة ومحبطة.

- **التشخيص السياسي :**أدرك الناصر أن هيبة السلطة قد سقطت، وأن التفاوض من موقع ضعف مع المتمردين (كما فعل جده الأمير عبد الله) لن يؤدي إلا إلى مزيد من التفكك.
- **النص المصدر :**يصف شيخ مؤرخي الأندلس، **ابن حيان القرطبي** (في كتابه *المقتبس* -الجزء الخامس المخصص بالكامل لعهد الناصر)، الحالة الكارثية للإمارة عند توليه، قائلاً:

أفضت الخلافة إلى عبد الرحمن والأندلس جمرة تتقد ناراً، واختلافاً ودماراً، قد شملت الفتنة أقطارها، وغلبت الخوارج على كورها... فلم يزل يطفئ نيرانها، ويخمد شررها، حتى استقامت له، ودان له عصاتها (1).

2.استراتيجية التهدئة والحسم (الاسترداد الداخلي(Internal Reconquista -

لم يوجه الناصر جيوشه في البداية نحو الممالك المسيحية في الشمال، بل أطلق ما يمكن تسميته بـ **حروب الاسترداد الداخلية**.

- **السياسة المزدوجة (العفو والسيف) :**اتبع الناصر سياسة براغماتية صارمة؛ فأعلن عفواً عاماً (Amnesty) ومغفرة تامة لكل من يلقي السلاح ويسلم حصنه للدولة، وفي المقابل، أعلن حرب إبادة لا هوادة فيها ضد من يعاند ويصر على التمرد.

- **إعادة هيكلة الجيش (الصقالبة) :**لضمان تنفيذ هذه الاستراتيجية دون تدخلات قبلية، ضاعف الناصر من الاعتماد على **الصقالبة** (العبيد الأوروبيين المجلوبين من تجارة الرقيق)، وجعلهم عماد جيشه النظامي، لأن ولاءهم كان حصرياً لشخص الأمير الذي يعتقهم ويرقيهم.
- **التطبيق الميداني :**قاد الناصر بنفسه حملات متتالية (عُرفت بغزوة المُنْتَلُون، وغزوة بَلْش وغيرها)، بدأها بأقرب الحصون إلى قرطبة، ثم توسع تدريجياً في سياسة قضم حصون التمرد (2).

.3سقوط ببشتر (315هـ/928م): (نهاية الأيديولوجيا الانفصالية)

كان حصن **ببشتر** (Bobastro)الجبلي المنيع يمثل عاصمة التمرد ورمز الصمود المولدين بقيادة أبناء عمر بن حفصون.

- **الدلالة الاستراتيجية :**أدرك الناصر أن إسقاط هذا الرمز سيكسر الإرادة النفسية لبقية المتمردين في كل الأندلس. حاصر الحصن حصاراً مميتاً وقطع عنه خطوط الإمداد.
- **سقوط الرمز :**في عام 315هـ، اضطر حفص بن عمر بن حفصون للاستسلام وتسليم الحصن. ولم يقتله الناصر، بل استوعبه وضمه إلى جيشه (سياسة الاحتواء).
- **النص المصدر :**يوثق **ابن عذاري المراكشي** هذا الانتصار الساحق الذي شكل نقطة اللاعودة في استقرار الإمارة:

وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فتح أمير المؤمنين عبد الرحمن مدينة ببشتر، وهي حصن الكفر والنفاق، ومأوى الفتنة والشقاق... فنزل حفص بن عمر بن حفصون على حكمه، وأمنه، ونقله إلى قرطبة، فكان فتحها أعظم فتوحه، وبها استتب أمره (3).

- أدى سقوط ببشتر لتأثير أحجار الدومينو؛ فتساقطت بقية إمارات التمرد (مثل إمارة بني قسي في الشمال، وبني حجاج في إشبيلية، ومروان الجليقي في الغرب).

.4التحول الأيديولوجي: (دوافع إعلان الخلافة سنة 316هـ/929م)

بعد أن أتم الناصر توحيد الجبهة الداخلية وأعاد هيبة المركز، اتخذ في ذي الحجة من عام 316هـ أخطر قرار سياسي ودستوري في تاريخ الغرب الإسلامي :**تلقب بـ أمير المؤمنين والخليفة**، منهياً بذلك عصر الإمارة .لِمَ تأخر هذا الإعلان 178 عاماً (منذ عهد الداخل)؟ ولماذا في هذا التوقيت بالذات؟ يحلل المؤرخون ذلك بدافعين رئيسيين:

- **أ- الدافع الخارجي (خلق توازن الردع الأيديولوجي) :**ظهور **الخلافة الفاطمية** (الشيعية الإسماعيلية) في إفريقية (تونس) سنة 296هـ، وتلقب زعيمها عبيد الله المهدي بـ أمير المؤمنين. شكل الفاطميون تهديداً وجودياً للأندلس السنية، وبدأوا في استمالة زعماء التمرد (كابن حفصون). أدرك الناصر أن المواجهة لا يمكن أن تكون عسكرية فقط، بل يجب أن تكون أيديولوجية. فلا يمكن لـ أمير أن يقارع خليفة. كان إعلان الخلافة ضرورة لخلق تعادل استراتيجي Geopolitical) (Deterrenceيمنع الفاطميين من التمدد نحو المغرب الأقصى والأندلس.
- **ب- الدافع الداخلي (سقوط هيبة بغداد وذروة قوة قرطبة) :**تزامن هذا التهديد الفاطمي مع وصول **الخلافة العباسية** في بغداد إلى الحضيض (سيطرة القادة العسكريين الأتراك على الخلفاء، وتعرض الخلافة لهجمات القرامطة). في المقابل، بلغت الأندلس ذروة القوة، الوحدة، والمركزية.
- **التحليل الأكاديمي :**يرى المؤرخ **إفاريست ليفي بروفنسال** أن هذا التحول كان تتويجاً منطقياً:

كان اتخاذ عبد الرحمن الناصر للقب الخليفة عملاً سياسياً محسوباً بدقة؛ فقد أراد أن يقيم في الغرب حاجزاً أيديولوجياً سنياً منيعاً في وجه التوسع الفاطمي الشيعي، مستغلاً

في الوقت ذاته الانحطاط المذل الذي وصلت إليه الخلافة العباسية في بغداد، ليعلن أن قرطبة هي الوريث الشرعي والوحيد للزعامة الروحية والسياسية للعالم الإسلامي (4).

الهوامش والتوثيق(Chicago Style - Notes)

(1)أبو مروان حيان بن خلف (ابن حيان القرطبي(، *المقتبس من أبناء أهل الأندلس*)الجزء الخامس)، تحقيق محمود علي مكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، 15.

(2)المصدر نفسه، 162-165.

(3)أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ج 2 (بيروت: دار الثقافة، 1983)، 188.

(4)إفاريست ليفي بروفنسال، *تاريخ إسبانيا الإسلامية: من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي محمد سالم، ط 3، ج 2 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 45-48.

(5)حسين مؤنس، *معالم تاريخ المغرب والأندلس*)القاهرة: دار الرشاد، 2000)، 265.